

ما قالته أمي عن «السيد فلسطين»!



24 مارس 2020 - 08:55

حسن البطل

«مش كل زلمة بيصير زعيم، ومش كل زعيم بيصير زعيم علينا.. وأبو عمار زعيمنا». هكذا نهرت أمي لفيفاً من مقاتلي الجبهة الديمقراطية في بيتنا، سمعتهم يذمّون ياسر عرفات، بعد أيلول عمان 1970.

بعد شهرين من حرب تشرين، وفي مقرّ (م.ت.ف) أول شارع السعدون البغدادي كان لي أول لقاء وجاهي مع عرفات، ضمن لفييف من كادر إذاعة فلسطين، وقادة الفصائل الفلسطينية في العراق.

فوجئت، فقد تحدثت عرفات بلهجة منذرة عن آثار قصور تلك الحرب عن تحرير أراض عربية وفلسطينية.

وحذّر من «حقبة سعودية» بعدها. لماذا فوجئت؟ من يومها تعلّمت أن لعرفات خطابين: الأول تعبوي. جماهيري؛ والثاني سياسي محكم في حلقات نقاش ضيقة.

بعد أيام من ذلك، التقينا في مقر بالشارع ذاته، أمين عام الجبهة الديمقراطية، نايف حواتمة، متحدثاً عن ما بعد حرب تشرين. رحلت أقارن.. ثم قررت أن أمّي على حق. لماذا؟

في اللقاء مع عرفات، راح الزميل سامي سرحان، يسجل كتابياً على الورق، فنهاه القائد، وعندما واصل التدوين، قال أبو عمار: إن لم تتوقف، فأنا لن أتكلّم!

لكن، في اللقاء مع حواتمة امتدح بإفراط نتائج تلك الحرب، وقال: أقلّ ما يمكن الحصول عليه منها فلسطينياً، هو سلطة وطنية على كل الأراضي الفلسطينية المحتلة! اعترضت فسكت، فهو يعرفني شقيق أبو مشهور، رحمه الله، الذي قاد الانشقاق العسكري عن الجبهة الشعبية.. لكن، عندما اعترض آخرون متشجعين، صرخ بنا: أنتم أغبياء ولا تفهمون في السياسة.

لهذا، أمضيت سنة عضواً في الديمقراطية، وأربع سنوات في الانسحاب التدريجي منها، حتى العام 1977 عندما «أمر» كتابياً بتفريغي عضواً في «فتح». بعدما عرضت عليه خبرين عن السياسة السعودية، فقال: حرّرها سؤالاً من الدائرة السياسية للرياض، وآخر للنشر في جريدة «فلسطين الثورة».

محزراً في المجلة والجريدة، أيضاً، لم تعجبني طريقة نشر أخبار القائد العام: استقبل. اجتمع. صرح.. إلخ، ولا صورته البورتريه الثابتة مع الخير: مبتسماً أو عابساً. هكذا، حرّرت استقبالاته واجتماعاته وتصريحاته في تقرير إخباري، أو تقرير سياسي. هذا راق للقائد، فطلب من وكالة «وفا» أن تعيد نشر ما تنشره جريدة «فلسطين الثورة» ومن ثمّ، صار لدينا مراسلان في مقر الـ 17 يداومان هناك حتى الرابعة صباحاً.

الخطوة التالية كانت أن قلت لرئيس التحرير: إما صورة حيّة عن استقبالات واجتماعات عرفات، أو لن ننشر صورته الشخصية مبتسماً أو عابساً. ظنني أحمد عبد الرحمن

أمزح، لكن بعد أيام، صار للرئيس مصور خاص، هو المصري مراد عبد الرؤوف، رحمه الله.

كانت بعض المقابلات للوكالات الأجنبية في شكل أسئلة وأجوبة، وكان يتولى الأجوبة رئيس مركز التخطيط محبوب عمر، ثم رئيس تحرير «فلسطين الثورة» الذي كلّفني كتابة أجوبة لأسئلة وكالة «تانيوغ» اليوغسلافية، و«برنسيا لاتينا» الكوبية، فاشترطت أن يعرف القائد أنني من صاغها.. وهكذا كان.

.. إلى أن احتج بعض مسؤولي الإعلام: من هو حسن البطل؟ إنه ليس من «فتح»، فأعفيت نفسي من المهمة.

حصل خلاف بين سياسة مركز الأبحاث .م.ت.ف والشاعر معين بسيسو الذي كتب عن «مراكز الأبحاث المشبوهة» ونشر رئيس تحرير «فلسطين الثورة» رأي معين، فسجنه القائد العام، وتضامن ماجد أبو شرار وحبس نفسه مع أحمد عبد الرحمن.

خرج المعتصمون من «الحبس الثوري» بعد أن أمر عرفات بتجاهلهم، ولما عاد أحمد إلى مقر المجلة، داهمنا عرفات بعد ساعة، وجلس على طاولة أحمد، وصار يصحّح مكان زر في سترته. كنتُ وحدي مع أحمد، وهممت بالهروب من «عاصفة» توقعتها، وما أن نتحنح أحمد وقال: بالنسبة لمراكز الأبحاث، حتى هبّ عرفات واقفاً وصارخاً في وجهه: ما دمت قائداً للمنظمة، لن أسمح بمهاترات بين مؤسساتها.. هل تفهم؟ اسكت!

في أول أعداد صدورها من قبرص، بدت المجلة ركيكة حتى عن مرحلة صدورها في بيروت، فأمر القائد بإرساله إلى قبرص مديراً مفوضاً للتحرير، وأظنّ أن قراء المجلة في إصداراتها القبرصية لاحظوا القفزة التحريرية والإخراجية للمجلة.

بعد اندلاع الانتفاضة، دأب القائد على توجيه رسالة أسبوعية ثم شهرية، كان يكتبها محررو «وفا» وكان القائد يضيف بقلمه استشهداً قرانياً بين كل فقرة وأختها، وبعضها غير دقيق، فأرسلت فاكساً إليه بضرورة ضبطها (رقم الآية والسورة).. ومن ثمّ كنت أختار ما هو أنسب في مطلع الرسالة، وما هو أنسب في خاتمتها.. وأتجاهل البقية! ذات شهر، كانت الرسالة مفككة، فوق طاقتي على تحريرها، وهكذا قمتُ بكتابة رسالة بديلة.. ولكن القائد لم «يزعل» أبداً، سوى مداعبته لي في هراري: هوامشك واسعة جداً شرقاً وغرباً».

على هامش قمة هراري لعدم الانحياز، استدعاني الرئيس إلى سفارة فلسطين آخر الليل، وراح يضع خطأ أو خطين على بريده بعد أن أجلسني قربه، فقلت له: ضع هنا خطين، فرمقني بنظرة ثابتة ثم وضع بقلمه خطين، وكانت دردشة شخصية . سياسية على الورق الرسمي، فقلت له: وقعها للذكرى.. ففعل، وبعدها قلت للناس: عرفات سوف يتزوج، فقيل لي إنه «تزوجنا.. وتزوج فلسطين كمان».

أمي قالت للمقاتلين: «مش كل زعيم يصير زعيم على الفلسطينيين.. وهذا قبل أن يصير «السيد فلسطين»».